خطبة صلاة الجمعة 10/ 9/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (احترام الاختصاص)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة: يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية: هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة التاسعة والعشرون في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرّها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يجب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **احترام الاختصاص**

تعلمون أيها الإخوة أنّ الله تعالى وزّع المواهب بين عباده فتكاملوا، فلهذا جَلَدٌ على العمل العضلي ولذاك صبرٌ على العمل العقلي، ولثالثٍ موهبةٌ صوتية رائقة، ولرابع قدرةٌ تواصلية عالية... وهكذا.

فكان الناس اختصاصاتٍ شتى، يتخصّص قوم بالطب وغيرهم بالهندسة وغيرهم بالشريعة وآخرون بالحرف المتنوعة، وفي كلٍّ خير.

ومن الانصاف والموضوعية احترام الاختصاص لنرقى ونبقى، ويكون احترام الاختصاص بمظاهر منها:

1- أن يُرجَع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم.

2- وألا يتكلم امرؤ أو يعمل في غير اختصاصه.

3- وألا يتجاوز أهل الاختصاص الحدّ فيما علمهم الله ومكنّهم منه.

هذه الثلاثة هي مادة خطبة اليوم:

**أولاً: من احترم الاختصاص أن يُرجع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم:**

حثّنا الإسلام على استقاء المعلومة من مصادرها الموثوقة، ليدربنا على الرجوع لأهل كلِّ اختصاص في اختصاصهم، فحين أنكر مشركو قريش بشرية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتوقعوا أن يكون الرسول مَلَكاً، وجههم القرآن الكريم للرجوع إلى المتخصصين فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] فبما أنكم لم تتبعوا كتاباً سماوياً قبل هذا فاذهبوا إلى أهل الكتب السماوية قبل محمد صلى الله عليه وسلم وسلوهم، هل أرسل الله ملكاً أو أرسل رجلاً رسولاً! فهمْ أهلُ اختصاصٍ ومعرفة.

فالإنصاف والموضوعية يقتضيان احترم الاختصاص بأن يُرجع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم.

وتذكرون حادثة الأذان وفيها أن سيدنا عبد الله بن زيد رضي الله عنه أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا التي رآها وفيها ألفاظ الأذان فأقره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: **«قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى منك صوتا»** [السنن الكبرى للبيهقي].

وفي هذا رجوع لأهل الاختصاص في اختصاصهم.

ومثل حادثة الأذان حادثة بناء المسجد، فقد أخرج الدارقطني والبيهقي عن طلق بن علي رضي الله عنه قال: "جئت إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنَّه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة -المجرفة من الحديد-، فخلطت به الطِّين، قال: فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي فقال: «**دعوا الحنفيّ والطِّين فإنَّه أضبطكم للطِّين**»، وفي رواية: «**قرِّبوا اليمامي من الطِّين، فإنَّه من أحسنكم له بناء**».

وفي رواية: (فقلت: يا رسول الله، ألا ننقل كما ينقلون؟ قال: «**لا، ولكن اخلط لهم الطِّين يا أخا اليمامة، فأنت أعلم به**» فجعلت أخلط لهم وينقلونه".

فهذا تعليم عملي للرجوع لأهل الاختصاص.

فمن الانصاف والموضوعية احترم الاختصاص بأن يُرجع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم، ومن الخطأ والجهالة ألا يحترم الاختصاص وأن يترك أهله ويرجع إلى غيرهم.

يطلق رجل زوجته في لحظة غضب فيسأل جاره الحرفي عن المسألة فيفتي له أنه يمكنه إعادتها لأن طلاق الغضبان لا يقع!

ولو سأل هذا الرجل أهل الاختصاص لكان خيراً له ولعلم بأن كلام جاره غير المختص خطأ.

ويصوم مريض سكري في شهر رمضان ويسأل عن مشروعية صومه أخاه غير المتخصص فيجيبه بحرمة صومه فيفطر!

ولو سأل هذا المريض أهل الاختصاص لكان خيراً له، ولعلم بأن كلام أخيه غير المختص خطأ.

وترتفع حرارة محرك السيارة وتُصْدِر رائحةً ودخاناً فيسأل الزوج زوجته عما يفعل فتشير إليه أن يتابع السير ليصل إلى أقرب مصلح للسيارات فيسير ويعطب المحرك!

ولو سأل هذا الزوج أهل الاختصاص لكان خيراً له، ولعلم بأن كلام زوجته غير المختصة خطأ.

وتقع امرأةٌ معتدةً عدةَ وفاة من على درج بيتها وتتورم يدُها فتسألُ أولادها إن كانت تستطيع الخروج من المنزل للمعالجة فيقولان لا يمكن لأنك معتدة ولا يجوز أن يراك الغرباء، ويضعون لها الرباط الضاغط الذي يكاد أن يقطع الدم في الشرايين المغذية لليد وقد كادت يدها أن تتموت!

ولو سألت هذه المرأة وهؤلاء الأبناء أهل الاختصاص لكان خيراً لهم، ولعلموا بأنهم كانوا على خطأ كبير لأنهم ليسوا أهل اختصاص.

ويخرج على مواقع التواصل غيرُ متخصص يعترض على الأحاديث النبوية وهو لا يعرف علوم المصطلح، أو يعترض على الآيات القرآنية وهو لا يحسن قراءتها نظراً من المصحف، أو يعترض على أحكام الفقهاء وليس له من الفقه نصيب!

والعجب من شباب يتابعونه ويرجعون لقوله ولا يرجعون لأهل الاختصاص، ولو سألوا أهل الاختصاص لكان خيرا لهم، ولعلموا خطأه وجهله.

إن من تعاليم الشريعة ومن مبادئ الانصاف والموضوعية احترام الاختصاص، ومن احترام الاختصاص أن يُرجع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم.

**ثانياً: من احترام الاختصاص ألا يتكلم امرؤ أو يعمل في غير اختصاصه.**

إنّ ادعاء المعرفة واحدة من أكبر المشكلات، وقد علّم القرآن أتباعه ألا يتكلم امرؤ أو يعمل في غير ما يعلم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

قال قتادة: لا تقل رأيت وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، قال الزمخشري: والمراد: النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم.

قال ابن عاشور: وهذا إصلاح عقلي جليل وإصلاح اجتماعي جليل.

إنّ مما شاع مما لا يحمد قول القائل: نصف أهل الشام أطباء ونصفهم مفتون!

يريدون أنّ القوم يتكلمون فيما لا يعلمون، فإذا شكا رجل في مجلس وجع رأسه انهالت عليه الوصفات من الجالسين بأنواع الزيوت أو الأعشاب أو المعالجات وربما أخرج له أحدهم دواء من جيبه يتداوى به ليداويه به.

وإذا عرضت لرجل مسألة فقهية تتالت عليه الفتاوى من الجالسين ما بين محلّلٍ ومحرّمٍ وليس في القوم واحد ممن درس الشريعة أو خبر الفتوى!

وقد ضمّن الفقه الإسلامي مَن عملَ أو قال بغير اختصاصه فأضرّ بغيره، ليدّربنا على احترام الاختصاص بألا يقول امرؤ بغير اختصاصه ولا يعمل

أخرج أبو داود والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ تَطَبَّبَ ولا يُعْلَمُ منه طِبّ، فهو ضامِن**» أي: من طبّ إنساناً وليس بطبيب، فآذاه: فهو ضامن.

وقل مثل ذلك فيمن حاول أن يصلح لغيره جهازاً ولم يكن من أهل الاختصاص فأتلفه فإنه ضامن.

أو فيمن تاجر بمال غيره مضاربةً في تجارة ليس من أهل الاختصاص فيها فخسر فإنه يضمن المال لصاحبه.

أو فيمن تعهد بناءً لغيره ولم يكن من أهل الاختصاص فبناه على غير ما يستحسنه المتخصصون فإنه يضمن.

إنّ من تعاليم الشريعة ومن مبادئ الانصاف والموضوعية احترام الاختصاص، ومن احترام الاختصاص ألا يتكلم امرؤ في غير اختصاصه ولا يعمل.

**ثالثاً: من احترام الاختصاص ألا يتجاوز أهل الاختصاص الحد فيما علمهم الله ومكنّهم منه.**

فكما أنّ المأمول ممن لم يكن من أهل الاختصاص ألا يتكلم فيما لا اختصاص له به، فالمرجو من أهل الاختصاص أن يتكلموا فيما يعلمون وألا يتجاوزوا الحد فيه.

ولم تكن كلمة "لا أدري" عيباً في الرجل يوماً عند من يعقل.

قال عبد الله بن مسعود: "أيها الناس! من علم منكم شيئا فليقل، ومن لم يعلم فليقل لما لا يعلم: لا أدري، الله أعلم؛ فإن من عِلم المرء أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم"

سُئل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يوماً عن تفسير آية وهو من هو في العلم والإيمان فقال: «أي سماء تظلني؟ وأي أرض تقلني؟ إذا قلت في كتاب الله بغير علم، لا أدري!».

روى عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال: فسل، فسأله الرجل عن مسألة فقال «لا أحسنها» قال: فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، قال فقال: فأي شيء أقول لأهل بلدتي إذا رجعت لهم؟ قال: "تقول لهم: قال مالك: لا أحسن".

كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: «إذا أخطأ العالم "لا أدري" أصيبت مقاتله».

وقال أبو داود: "قول الرجل فيما لا يعلم: لا أعلم نصف العلم".

**أيها الإخوة:**

إنّ من تعاليم الشريعة ومن الانصاف والموضوعية احترم الاختصاص لنرقى ونبقى، ويكون احترام الاختصاص بمظاهر منها:

1- أن يُرجَع لأهل كل اختصاص في اختصاصهم.

2- وألا يتكلم امرؤ في غير اختصاصه ولا يعمل.

3- وألا يتجاوز أهل الاختصاص الحد فيما علمهم الله ومكنّهم منه.

والحمد لله رب العالمين